مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الاستشراق بين الايجابيات والسلبيات(*)

سـويـلـم خـلـف سمران الرشيدي
باحث دكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين
الجامعة الإسلامية- المملكة العربية السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 1/2/2022 تاريخ قبوله للنشر 17/2/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الاستشراق بين الايجابيات والسلبيات

سـويـلـم خـلـف سمران الرشيدي
باحث دكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين
الجامعة الإسلامية- المملكة العربية السعودية

الملخص بالعربي

يطلق مصطلح الاستشراق على الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وحول هذا المصطلح تباينت وجهات النظر حول الاستشراق ما بين مؤيد ومعارض؛ ولأجل هذا ساهمت بإعداد هذا البحث الموسوم بعنوان: "الاستشراق بين الايجابيات والسلبيات" للباحث: سويلم خلف سمران الرشيدي، باحث دكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية.

وتتجلى أهمية الموضوع في انتشار الاستشراق وخطورته على الفكر الإسلامي دون تمحيص بين ايجابياته وسلبياته، وهدفت هذه الدراسة إلى بيان معنى الاستشراق والمستشرقين، والوقوف على نشأته، والكشف عن إيجابياته وسلبياته. واتبعت فيه المنهج الاستقرائي والتحليلي.

وقسمته إلى ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول: تعريف الاستشراف والمستشرقين ومدخل حول نشأة الاستشراق. وذكرت فيه مطلبين، وهما: المطلب الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين. والمطلب الثاني: مدخل حول نشأة الاستشراق. والمبحث الثاني: إيجابيات الاستشراق. وذكرت فيه أربعة مطالب، وهي: المطلب الأول: إحياء التراث العربي الإسلامي. المطلب الثاني: الاهتمام بالمخطوطات. المطلب الثالث: الاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي. المطلب الرابع: التحقيق في علم الحديث. وأما المبحث الثالث: سلبيات الاستشراق. فذكرت فيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: نشر الشبهات حول القرآن الكريم. المطلب الثاني: نشر الشبهات حول السنة النبوية والرد عليها. المطلب الثالث: شبهة الطعن بشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم والرد عليها.

فكانت نتائجه في وجود إيجابيات وسلبيات للاستشراق، وهناك مستشرقون منصفون للإسلام، وهناك متعصبون، وخلصت توصياته إلى مزيد من العناية في دراسات الاستشراق، ودراسة ظاهرة الاستشراق في الجامعات والمدارس.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الدراسات الاستشراقية، ايجابيات الاستشراق، سلبيات الاستشراق.

Orientalism: Advantages and Disadvantages

Swailem Khalaf Samran Al-Rashidi
PhD researcher at the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion
The Islamic University

Abstract

"Orientalism" refers to the Western studies of the Islamic East in its languages, literature, history, beliefs, legislation and civilization in general. The views on Orientalism vary between supporters and opponents. As a result, I, Swailem Khalaf Samran Al-Rashidi, a PhD researcher at the Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion at the Islamic University, carried out this research entitled: "Orientalism: Advantages and Disadvantages".

The importance of the subject stems from the fact that Orientalism is widespread. It is also dangerous to the Islamic thought since people cannot differentiate between its advantages and disadvantages. The study aims at explaining the meaning of Orientalism and Orientalists, its development as well as its advantages and disadvantages. It uses the inductive and analytical approach.

The study is divided into three sections. The first is "Definition of Orientalism and Orientalists", in addition to an introduction on the "Emergence of Orientalism". I included two demands in the first section. The first demand is the definition of Orientalism and Orientalists. The second demand is an introduction on the emergence of Orientalism. The second section is "The Advantages of Orientalism". It included four demands. The first demand is about the revival of the Arab-Islamic heritage. The second demand is taking care of manuscripts. The third demand is taking care of encyclopedic lexical composition. The fourth demand is investigation in the science of hadith. The third section is "The Disadvantages of Orientalism". It included three demands. The first demand is spreading suspicions about the Holy Qur'an. The second demand is spreading suspicions about the Sunnah and responding to them. The third demand is the suspicion of affronting the Prophet Mohammad, may Allah bless him and grant him peace, and responding to it.

The results of the study show advantages and disadvantages for Orientalism. There are orientalists who are fair to Islam, yet there are fanatics. Its recommends more care of Oriental studies, and the study of the phenomenon of Orientalism in universities and schools.

Key Words: Orientalism, Oriental Studies, Advantages of Orientalism and Disadvantages of Orientalism.

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، ومِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ فَلا هَادِي لَهُ. وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

وبعد.. فالاستشراق... ظاهرة قديمة، بدأت منذ القرن العاشر الميلادي؛ وكان من بواعثه العداء الصليبي، وما سبق الحروب الصليبية من الفتوحات الإسلامية التي كان من آثارها دخول كثير من الممالك في الدين الإسلامي. كما أدى إلى العداء الصليبي للإسلام؛ إنكار هذا الأخير عقيدة التثليث والصلب والفداء التي هي أساس المسيحية وعمادها. ولهذا كانت دراسة الاستشراق للإسلام تاريخا وتشريعا – في الغالب – غير مخلصة، ولا نزيهة، ولا علمية موضوعية. وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله.

ولهذا قام بعض المستشرقين بجهود خطيرة لتشويه الإسلام والصد عنه من خلال السموم التي يبثها بعضهم في دراساتهم للأقطار العربية والإسلامية يبغون من ذلك إزالة راية الإسلام، مستخدمين في ذلك كل الوسائل نحو تحقيق هذا الهدف، مستغلين حسن نوايانا وتسامح ديننا.

وفي المقابل؛ جاءت بعض الدراسات الاستشراقية منصفة لجوانب عدة من الإسلام، حتى انتشرت هذه الرؤى في الشرق والغرب.

ولهذا جاء هذا البحث بعنوان: "الاستشراق بين الإيجابيات والسلبيات" لبيان الجوانب الإيجابية التي قام بها بعض المستشرقين المنصفين والثناء عليها، ورصد الجوانب السلبية التي أثارها بعض المستشرقين المتعصبين والرد عليها وفق المنهج العلمي السليم.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في عدد من النقاط، منها:

أولا: خطورة الدراسات الاستشراقية، وسرعة انتشارها في الشرق والغرب، من خلال الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية.

ثانيا: حرص الكثير من المستشرقين على مهاجمة الإسلام، والطعن فيه، وإظهاره في صورة متناقضة أو ضعيفة.

ثالثا: وجود بعض الدراسات الاستشراقية التي أنصفت الإسلام، وأظهرت المحاسن التي أغفلها المتعصبون من المستشرقين، بل قامت بعض الدراسات الاستشراقية المنصفة بالرد على كثير من الشبهات التي أثارها المتعصبون.

أسباب اختيار الموضوع.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فمنها:

أولا: الوقوف على بعض الدراسات الاستشراقية المنصفة، وبيان ما قدمته هذه الدراسات من خدمة للمسلمين وغيرهم.

ثانيا: الكشف عن بعض الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الإسلام، والرد عليها.

الهدف من الدراسة.

أولا: بيان معنى الاستشراق والمستشرقين.

ثانيا: الوقوف على نشأة الاستشراق.

ثالثا: الكشف عن إيجابيات الاستشراق.

رابعا: رصد سلبيات الاستشراق.

مشكلة الدراسة.

تظهر مشكلة هذه الدراسة في انتشار الدراسات الاستشراقية بين الناس، وترددهم في الحكم عليها بين الإيجاب والسلب، حيث تتميز بعض الدراسات بالعديد من الجوانب الإيجابية، كما تمتلئ بعض الدراسات بالجوانب السلبية، فأردت من خلال هذه الدراسة أن أوضح الجوانب الإيجابية والسلبية للدراسات الاستشراقية.

الدراسات السابقة.

توجد العديد من الدراسات التي بينت الجوانب الإيجابية للاستشراق، وكذلك هناك دراسات كثيرة تناولت الجوانب السلبية للاستشراق وشبهات المستشرقين والرد عليها.

غير أن بحثي هذا يتناول بعض الجوانب الإيجابية والسلبية للاستشراق بصورة مجملة، بحيث تيسر للقارئ أن يقف عليها دون عناء في مواضع متفرقة من البحوث العلمية.

منهج الدراسة:

أولا: المنهج الاستقرائي: وهو (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها ؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا)[1]. ومن خلاله أتتبع الجزئيات الإيجابية والسلبية في كتابات المستشرقين حول الإسلام.

ثانيا: المنهج التحليلي: وهو (تحليل الظواهر إلي عناصرها الأولية)[2]. ومن خلاله أقوم بإعادة النصوص التي اعتمد عليها المستشرقون إلى مبادئها الأولى وأخضعها للتحليل والتفسير، بقصد الكشف عن منهجية البحث لدى المستشرقين والوقوف على أغراضهم التي يسعون إليها، ونقدها وفق المنهج العلمي السليم.

(١) عوض الله جاد حجازي، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، صـ:١٨٤، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٢) عبد اللطيف العبد، مناهج البحث العلمي، صـ: ١٥، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

تقسيم الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على المعنى المراد من البحث وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والهدف من الدراسة ومشكلة البحث والمنهج المتبع فيه والدراسات السابقة.

المبحث الأول: تعريف الاستشراف والمستشرقين ومدخل حول نشأة الاستشراق.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين.

المطلب الثاني: مدخل حول نشأة الاستشراق.

المبحث الثاني: إيجابيات الاستشراق.

المطلب الأول: إحياء التراث العربي الإسلامي.

المطلب الثاني: الاهتمام بالمخطوطات.

المطلب الثالث: الاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي.

المطلب الرابع: التحقيق في علم الحديث.

المبحث الثالث: سلبيات الاستشراق.

المطلب الأول: نشر الشبهات حول القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نشر الشبهات حول السنة النبوية والرد عليها

المطلب الثالث: شبهة الطعن بشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم والرد عليها.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الاستشراف والمستشرقين ومدخل حول نشأة الاستشراق.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين.

أولا: تعريف الاستشراق.

أ–الاستشـراق لغـة: كلمـة "الاستشـراق": مشـتقة مـن مـادة "شـرق" يقـال شـرقت الشـمس شـرقا وشـروقا إذا طلعت(١).

ب–الاستشراق اصطلاحا:

تعددت تعاريف الاستشراق عند العلماء، ومن هذه التعاريف:

التعريف الأول: «الاستشراق هو علم الشرق أو العالم الشرقي»(٢).

التعريف الثاني: «استشرق طلب علوم الشرق ولغاتهم "مولدة عصرية" تقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة»(٣).

التعريـف الثالـث: «الاستشـراق هـو اشـتغال غـير الشـرقيين بدراسـة لغـات الشـرق وحضـاراته وفلسـفاته وأديانـه وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله»(٤).

التعريف الرابع: هو عبارة عن دراسات اكاديمية يقوم بها الغربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه المختلفة(٥)

من خلال التعريفات السابقة يتبين أن الاستشراق لا يهتم بالدراسة الجغرافية للشرق، وإنما يهتم بدراسة علوم الإسلام وما يلتصق بها. فالاستشراق هو (الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام)(٦).

ثانيا: من هم المستشرقون:

أما المستشرقون فهم الذين يقومون بالدراسات الشرقية، فكل من يقوم بتدريس أحوال الشرق والكتابة عنه أو بحثه – ويسري هذا على من كان مختصاً بعلم الأنثروبولوجي(٧) أو بعلم الاجتماع أو مؤرخ أو فقيه لغة – في جوانبه المحددة والعامة على حد سواء — هو مستشرق وما يقوم به هو استشراق(٨).

---

(١) المعجم الوسيط ج١، ص٤٨٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠.

(٢) راجع الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ص١١ تأليف رودي بارت وترجمة د. مصطفى ماهر— القاهرة ١٩٦٧م

(٣) الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة ج٣، ص٣١١.

(٤) محمد عبد الغني، حسن عبد الله الفكري، أعلام العرب، ص٨٩.

(٥) رؤية إسلامية للاستشراق، احمد عبدالحميد غراب، ص٧–٨

(٦) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص١٨.

(٧) الانثروبولوجيا: علم يدرس أصل النوع الإنساني وتاريخه والظواهر المتعلقة به. انظر: عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا، ص٨، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨) سعيد، إدوارد، الاستشراق، ص٣٨.

وهناك من يُعرفهم، بأنهم (الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية[١]). وقد يطلق على المستشرقين اسم [المستعربون] مع انه لا يصح تعميم هذا الإطلاق، إذ ليس كل مستشرق مستعرباً، فالمستشرق أعم من المستعرب، وبعض المستشرقين ليس مستعرباً، أي ليس بينهما مساواة حتى يصح حمل كل واحد منهما على الآخر واستعمال كل منهما مكان الآخر.

وعرفهم بعض الباحثين، بأنهم جماعة من الكتاب والمؤرخين الأجانب الذين خصصوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والاجتماعية للمشرق الإسلامي فصار من الضروري على هؤلاء أن يتعلموا اللغات الأصلية لهذا الجزء من العالم[٢].

ثالثا: الجهات المعنية بالاستشراق.

إن أبرز الجهات التي اهتمت بحركة الاستشراق هي:

١- الأديرة[٣] التي بعثت رهبانها للبلاد الإسلامية لينقلوا إليها الفكر الإسلامي فيحددوا مواقع الخطر فيه على دينهم للرد عليه ومحاولة إيقاف انتشاره.

٢- المؤسسات التي أُنشئت لمثل هذه الدراسات، والتي قامت على أكتاف الرهبان[٤]. وهي جهة تشارك سابقتها في العمل وتكمل ما نقص منها.

٣- وفضلاً عن الجهتين السابقتين، ظهرت اهتمامات فردية بالدراسات العربية والإسلامية بعد قيام الغرب باستعمار هذه البلاد[٥].

رابعا: مستويات المستشرقين وطبيعة دراساتهم:

إن النظر في كتابات المستشرقين وبحوثاتهم يظهر بجلاء أنهم يشكلون مستويات مختلفة من حيث التعصب والإنصاف، فإذا ما تجاوزنا من لهم ميول[٦] تبشيرية خفية أو ظاهرة، نجد المستشرقين ينقسمون إلى فئات هي:

١- فئة من طلاب الأساطير والغرائب[٧]، منها أولئك المستشرقون الذين افتروا على القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه واله وسلم[٨].

---

(١) بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص٧.

(٢) ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص٢٧.

(٣) جمع دير، وهو: مبنى مُعَدّ لسكنى الرُّهبان والرَّاهبات النَّصارى. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص٧٩٤.

(٤) جمع راهب، وهو: مُتعبِّد زاهد في صومعة النصارى. انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص٩٤٩.

(٥) العقيقي، المستشرقون، ج١، ص٩٨.

(٦) الميل هو استجابة قبول إزاء موضوع ما. انظر: سوسن شاكر مجيد، أسس بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، ص٤٣١. اتحاد الناشرين بالأردن، ٢٠١٣م.

(٧) الغريب هو ما كان غير مألوف ولا مأنوس. انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص١٦٠١.

(٨) السباعي، الاستشراق، ص٢٧.

٢- فئة من المرتزقة، هذه الفئة هي التي جندت نفسها بما قامت به من دراسات وبحوث لخدمة المصالح الغربية السياسية والاقتصادية والاستعمارية(١).

٣- فئة تكلمت عن الإسلام باسم البحث العلمي ولكنها انحرفت عن جادة الصواب. فراحت تتخيل نقاط ضعف الإسلام وتشكك في الرسالة الإسلامية. وفي القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف(٢).

٤- فئة أقدمت على دراسة اللغة والأدب العربي أو الاشتغال بالمعاجم، وما شابه ذلك، فتركت في هذه الحقول بحوثاً ذات قيمة علمية وفائدة كبيرة(٣).

المطلب الثاني: مدخل حول نشأة الاستشراق.

أولا: نشأة الاستشراق.

اختلفت الفترة الزمنية التي ظهر فيه الاستشراق الى عدة آراء وسيتم عرضها مناقشتها في المبحث التالي:

١-ذهب محمد البهي(٤): "إلى أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي. على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك ثم يؤكد أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن هذا العلم قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا".

٢-ويرجح أحمد الاسكندراني وزملاؤه(٥): أن "بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادي حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية(٦) التي سادها العرب. فاندفعوا إليها ليتعلموها ويتسلحوا بها ويستفيدوا منها فأخذوا يدرسون لغتها وآدابها ويترجمون كتبها وينقلون علومها إلى بلادهم وكان أول من بدأ بذلك رجال الدين ثم تلاهم غيرهم من أبناء جلدتهم".

٣-ويرى إبراهيم عبد المجيد اللبان(٧): "أن حركة الاستشراق بدأت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في هذا القرن بالذات ثم ازدهرت حركته في القرن الثاني عشر حين انتشرت تلك المراكز العلمية في العالم الإسلامي وبدأ الأوروبيون يتوافدون إليها ليتعلموا فيها".

ثانياً: أسباب نشأة الاستشراق ودراساته الإسلامية

ذكر بعض الباحثين أن أسباب نشوء الدراسات الاستشراقية الإسلامية تعود إلى عوامل مختلفة ومتعددة هي:

---

(١) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٧٤.

(٢) السباعي، الاستشراق، ص٢٧.

(٣) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٧٥.

(٤) محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٥٣٢، دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

(٥) أحمد الاسكندراني وآخرون المفصل في الأدب العربي ٤٠٨/٢.

(٦) المعجزة الحضارية: الوصول إلى مراتب غير عادية بطريقة تكاد تكون فجائية. انظر: صبحي سليمان، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٢٩. وكالة الصحافة العربية، ٢٠٢٠م.

(٧) إبراهيم عبد المجيد اللبان المستشرقون والإسلام، ص١١، مجمع البحوث الإسلامية أبريل، ١٩٧٠.

١- ما حصل من احتكاك والتقاء بين المسلمين والرومان في غزوة مؤتة وغزوة تبوك[١]. إذ وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية[٢].

٢- الحروب الصليبية التي أدت إلى الاحتكاك السياسي والديني المباشر بين الإسلام والنصرانية في فلسطين خاصة وبلاد الشام عامة وحجة القائلين بهذا الرأي هو أن العداء السياسي استحكم بين نصارى الغرب والمسلمين أيام نور الدين محمود بن زنكي (ت٥٦٩هـ) وصلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ) إثر الهزائم المتكررة التي حاقت بالغربيين فأرادوا الانتقام بتشويه الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بمختلف التهم والوسائل[٣].

٣- يرى آخرون إن نشوء الاستشراق كان لحاجة الغرب للرد على الإسلام أولاً، ولمعرفة أسباب هذه القوة الدافعة لدى أبنائه ثانياً، وبخاصة بعد سقوط القسطنطينية سنة (٨٥٦هـ/١٤٥٣م)[٤].

المبحث الثاني: إيجابيات الاستشراق.

مدخل:

تعددت مواقف الكتاب والباحثين من جهود المستشرقين، فقسمها بعظهم إلى موقفين رئيسين[٥]، وهما موقف المعجبين بجهود المستشرقين وإنجازاتهم، موقف الرافضين المهاجمين لكل ما يمت إلى الاستشراق بصله. وذهب غيرهم من الباحثين الى تقسيم تلك الموافق إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي، موقف القبول المطلق، وموقف الرفض المطلق، وموقف المواجهة الإيجابية، وذلك في محاولة الابراز الموقف المعتدل من جهود المستشرقين ودراساتهم[٦]

ومن أشهر مواقف الاعجاب والقبول ما ذهب اليه الأستاذ نجيب العقيقي.

والذي ألف كتابا مستقلا يترجم فيه للمستشرقين، حيث بيّن في سبب تأليفه أنه جاء وفاء لبعض حقهم، فقد شعلوا بنا عشرة قرون في جميع أصقاع الأرض وبسائر اللغات، وتناولوا جميع ما للشرق من دين وحضارة وثقافة بألوان المصنفات، فلا أقل أن نشكر فضلهم على العربية بالعربية، ونذيعه في كتاب، وإن لم يكن في مثل دقة كتبهم وعمقها وشمولها وجدتها، وهو: المستشرقون[٧].

ويؤكد أهمية دراسات المستشرقين بقوله: وازنّا بين عنايتهم بتراثنا واكتشافه وصونه وتحقيقه، وبين ما قمنا نحن في سبيلة فرأيناها تكون متساوية، ووازنا كذلك بين ترجمة أحدهم وآثاره، وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره فوجودناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب، وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في

(١) السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية، ص١٩.

(٢) هيكل، حياة محمد، ص٤٠٤.

(٣) السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية، ص٢٠.

(٤) ناجي، تطور، الاستشراق، ص٣٣.

(٥) الاستشراق والمستشرقين، مصطفى السباعي، ص٩-١٧.

(٦) الاستشراق والدراسات الإسلامية، على النملة، ص٢٠٥-٢٣١.

(٧) المستشرقون، نجيب العقيقي، ٦٠٥/٣.

فتح عيون الشرقيين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء ثم نهضتنا التي كانوا من دعائمها[١].

مما سبق يتبين أن بعض العلماء يرى عددا من الجوانب الإيجابية للاستشراق، منها:

المطلب الأول: إحياء التراث العربي الإسلامي.

أولا: مظاهر إحياء التراث العربي الإسلامي.

يمثل جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي، وخدمة العلوم الإسلامية، في وقت غفل فيه المسلمون عن تراثهم ونسوا واجبهم نحوه، مع ما قد يشوب هذه الجهود من دخن أو أهداف غير مشروعة أو جهل وعدم فهم أحيانا. كما يتمثل في طبقة المستشرقين الذين بذلوا جهودا كبيرة في مجال الدراسات العربية الإسلامية مع بعدهم من تأثير العوامل الدينية والسياسة.

يشير الشيخ أبو الحسن الندوي إلى جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي، فيقول: (أعترف بكل وضوح وصراحة أن عدد من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسة أو اقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهودا ضخمة ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة[٢].

ثانيا: الشواهد على جهود المستشرقين في إحياء التراث الإسلامي:

١- كتاب (توماس أرنولد) المعنون بـ (الدعوة الى الإسلام) الذي أنصف المسلمين فقد برهن على سماحة المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم، بأن مؤلفة كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا وأرجعها إلى مصدرها[٣].

٢- ومن الشواهد على جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي:

من المستشرقين من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه) وألف مع عالم جزائري كتاباً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله[٤].

---

(١) المرجع السابق، ٣/٦٠٥.

(٢) الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للشيخ أبو الحسن الندوي، ص١٣.

(٣) الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص٣٢-٣٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣٣.

المطلب الثاني: الاهتمام بالمخطوطات.

أولا: مظاهر الاهتمام بالمخطوطات.

كان الناس في العالم الإسلامي يبيعون مخطوطات جهابذة علماء الإسلام في الأسواق بثمن رخيص، ومنذ ذلك الوقت قام المستشرقون بجمع هذه المخطوطات وشرائها من أيدي المسلمين، وذلك إدراكاً منهم لأهميتها هذه وبما فيها من العلوم القيمية.

فقد وجدت عدد من المخطوطات النفيسة في المكتبات الأوربية وهي لم توجد عند المسلمين، ففي مكتبة باريس الوطنية وحدها يوجد أكثر من سبعة الاف مخطوط عربي، ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط، وأسهم المسيحيون اللبنانيون في نقل بعض المخطوطات العربية إلى فرنسا(١).

ثانيا: الشواهد على الاهتمام بالمخطوطات:

من أهم هذه الشواهد: ما فعله المستشرق الفرنسي دي سلان ماك غوين، الذي وضع فهرس المخطوطات الشرقية، وترجمة لمقدمة ابن خلدون، تناول فيها الرسول العربي في إطاره التاريخي، والشريعة الإسلامية السمحاء، فوجده متقدماً على أقرانه من الرسل، ووجد الإسلام يتميز عن باقي الشرائع، يقول: إن العرب أمة تمتاز بكثير من الصفات، ولها دين جامع شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد الفقير، وقبل أن نعرف الدين يجب أن نعرف من أتى به، وحقاً أقول ليس كمحمد في سلسلة الأنبياء، ولا كشريعته في سلسلة الشرائع، لا نبالغ إذا قلنا إن محمداً خير من أتى بشريعة، ولقد وقف في وجه الطغاة من قريش، حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتعان بذكر عاطر وحديث حسن، وليس باستطاعتنا أن نثير عليهما غبار الانتفاص(٢).

ومع زيادة الاهتمام بالشرق الإسلامي بدأ الاهتمام بتجميع كتابات ونتاج الحضارة العربية الإسلامية. وقد قام بتجميع وانتقاء هذه الكتابات مستشرقون وباحثون وحتى إداريون، فبدأت تتكون تلك المجموعة بدءاً من ذلك. وقد كانت مجموعة المتحف البريطاني عند تأسيسه في عام ١٧٥٢ ميلادية تضم حوالي ١٢٠ مخطوطة عربية، ونقلت ٢١ مخطوطة أخرى من مصر في عام ١٨٠٢ في أعقاب معركة النيل. لكن أهم مجموعة تم اقتناؤها كانت المخطوطات التي جمعها كلوديويس جيمس ريتش(٣).

المطلب الثالث: الاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي.

تناولت حركة الاستشراق بمختلف أنواعها، وكان للمستشرقين اهتمام خاص بالقرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف وعلوم العقيدة الاسلامية، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية، وقد

(١) الاستشراق تعريفة ومدارسة آثاره، محمد فاروق النبهان، ص٣٧-٤١.

(٢) دي سلان ماك غوين، في مقدمة الترجمة الفرنسية لمقدمة ابن خلدون، ص٤٤.

(٣) المستشرقون، نجيب العفيفي ج٢: ص٥٠.

أمضى المستشرقون كثيرا من الوقت في الدراسات الأدبية والتاريخية[١].

مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين كثيرة جداً، وبلغ عدد ما ألّفوه عن الشرق في قرن ونصف (منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب)[٢].

المطلب الرابع: التحقيق في علم الحديث.

اعتنى المستشرقون في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي بتحقيق عدد من المصنفات المهمة في علم الحديث وعلومه، وقد جاءت عنايتهم بذلك في وقت مبكر، قبل اهتمام المسلمين بتحقيق تراثهم ونشره، وقد نوه بتلك التحقيقات الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي، وقارنها بما ساد من تحقيقات ضعيفة في العالم الإسلامي، مليئة بالأخطاء الواضحة والنقص والتحريف، كما بين تمييز تحقيقات المستشرقين لكتب التراث[٣]

ولذلك كانت تحقيقات المستشرقين نفائس تقتنى، وتغالى الناس في اقتنائها على علو ثمنها، كما كانت مرشدا للباحثين المحدَثين وفي مقدمة من قلدهم وسار على نهجهم في التحقيق والتدقيق العلامة الحاج أحمد زكي باشا رحمة الله ثم من سار على سيرته واحتذى حذوه[٤].

الشواهد على التحقيق في علم الحديث: أشهر المستشرقين المحققين:

١- تحقيق (كتاب صحيح البخاري) حيث نشر المستشرق الالماني (كريل) الأجزاء الثلاثة الأولى ١٩٠٨م[٥].

٢- تحقيق المستشرق الفرنسي (وليم مارسه) لكتاب التقريب والتيسير للنووي[٦].

٣- تحقيق المستشرق الألماني (فلايخامير) لكتاب علماء الامصار للإمام ابن حبان عام ١٩٥٩م[٧].

٤- دائر المعارف الإسلامية: وتعد دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين. لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وتناول كل واحد ما يدخل ضمن تخصصه العلمي واشتملت على بحوث ودراسات وآراء معارف عظيمة الفائدة وأهمية، تغني عن خزانة علمية، وتوفر للبحث جهداً لا يستطيع تحقيقه في سبيل الاطلاع على كل ما يتعلق بالتراث الإسلامي.

ومن الطبيعي أن تعبر الموسوعة عن الفكر الاستشراقي، فمن حيث المنهج جهد يجسد منهج الاستشراق في البحث. ومن حيث الموضوع فهي تعتبر عن رأى الاستشراق في التراث الإسلامي. ومن حيث التعامل معه أسلوب لا يخلو من شعور بالاستعلاء عليه والتقليل من أهميته، وإبراز المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تكوينه،

(١) دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي، ص١٩.

(٢) الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٢١٩.

(٣) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مقدمة التحقيق ١/١٧-١٨.

(٤) تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، أحمد شاكر، ص١٢.

(٥) المستشرقون، للعقيقي، ٢/ص٣٧٦.

(٦) المرجع السابق ١/ ص٢٥١ - ٢٥٢

(٧) المستشرقون، العقيقي، ٢/ص٤٨٠.

وإبراز الجوانب السلبية فيه، وإنكار خصوصياته، وتجاهل الكثير من خصائص الابداع فيه.

وقد تُرجمت دائرة المعارف الإسلامية إلى العربية، وقام بهذا العمل عدد من الباحثين المتمكنين، ثم صدرت مجموعة دراسات تقويمية ونقدية أشاد فيها كاتبوها بأهمية هذه الموسوعة، وصححوا الكثير من أخطائها. كما نشرت دراسات عن الترجمة(١).

ومن أبرز ما ورد في دائرة المعارف من أقوال المستشرقين عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

وصف (بارثيملي سانت هيلر)) الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه: أكثر عرب أهل زمانه ذكاء وأشدهم تدينا، وأعظم رأفة)(٢).

يقول (آرفنج) عنه: (كان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له، وكان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته، رحيماً بعيداً عن التفكير في الثراء والصالح المادية(٣).

ويقول (دوزي) لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره(٤).

والخلاصة: أن أهم إيجابيات الاستشراق تتمثل في إحياء التراث الإسلامي، والاهتمام بالمخطوطات، والاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي، والتحقيق في علم الحديث.

المبحث الثالث: سلبيات الاستشراق

تعددت السلبيات الناشئة عن الاستشراق، حتى شملت عدة أمور، منها:

المطلب الأول: نشر الشبهات حول القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول الذي يعتمد عليه المسلمون ويطبقونه في سائر أعمالهم وأمورهم الدينية والدنيوية، لأنه كلام الله الموحى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليبلغه إلى أمته. ومن هذه الشبهات:

أولا: شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم والرد عليها.

أ – شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم.

إن بعض المستشرقين ومن بينهم "جولدزيهر" وهو شيخ المستشرقين وأكبرهم اشتهر بدراسته للقرآن الكريم، وقام بإثارة شبهات كثيرة حول هذا المنهج الرباني والمصدر التشريعي الذي يستمد منه المسلمون كل أحكامهم الشرعية، فتراه لا يؤمن بالمصدر الإلهي للقرآن الكريم بل حاول أن يلتمس العديد من المصادر وأجهد نفسه للحصول عليها وتبريرها فلم يفلح. ويذهب "جولدزيهر" في تفسير الوحي الإلهي مذهب زملائه المستشرقين لأنه

(١) الاستشراق تعريف مدارسة وآثاره، محمد فاروق النبهان، ص٣٧-٤١.

(٢) المستشرقون، العقيقي ١/٢٠٥.

(٣) المرجع السابق، ٢/ص٣٠٨.

(٤) الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص٢٤-٢٦.

يرى أنه من خلال النصف الأول من حياة النبي- صلى الله عليه وسلم- اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يحترها في قرارة نفسه وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته.

واختلطت هذه الأفكار بما يلاحظه من قساوة الحياة واضطهاد الفقراء وطغيان الأغنياء بمكة فتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذر إياهم بما يؤدي بهم إلى ضلالهم من الخسران أي أنه أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربيا لشعبه أي "منذره ومبشره"(١).

ويصف "جولدزيهر" وصف القرآن ليوم القيامة وأهوالها والكوارث التي ستنجم عن حدوثه فيقول: "اللوحات المرسومة بألوان حارة عن نهاية العالم ويوم الحساب والمواعظ التي تهيئ لترك الكفر والحياة الدنيا، والقصص عن مصير الشعوب القديمة وعن سلوكها، حيال الأنبياء الذين أرسلوا إليها وإثبات قوة الله الخارقة «بخلق العالم والتكوين البديع للإنسان» وضعف الخليقة التي يستطيع ساعة يشاء أن يميتها ويحييها، هذا ما تتضمنه أقدم أقسام هذا الكتاب المنزل"(٢).

كما تعرض جولدزيهر في سياق حديثه عن القرآن إلى التمييز بين القرآن المكي والمدني مستندا في ذلك إلى البحث النقدي والبلاغي للقرآن، فانطلق من الافتراضات والادعاءات التالية:

١- أن هناك قرآنيين مختلفين: مكي ومدني.

٢- أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة.

٣- أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام وأن هذا الأخير يحمل بين ثناياه دلالات ضعيفة(٣).

يقول (سيديو) في ذلك على نهج من سبقة، وساق عدداً من النصوص خلاصتها (أن القرآن مؤلف من قطع متفرقة قدمت إلى المؤمنين على أنها منزلة من الله فلم تخل من متناقضات بحكم الطبيعة لملاءمتها الأحوال كوصية قيصر)(٤).

ب – الرد على شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم.

يمكن القول بأن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويستحيل أن يكون من وضعه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمي لم يدرس ولم يتعلم.

ولقد أخبر القرآن عن أمور غيبة ما لبثت أن تحققت، منها:

- وعده الله سبحانه بالنصر والتمكين قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (الصف: ٩).

(١) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – الدكتور ساسي سالم الحاج ج (١-٢)، ص٣١٩.

(٢) الإسلام – للمستشرق هنري ماسيه – ترجمة بهيج شعبان ص: ١١٤.

(٣) الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية – الدكتور محمد الشقاقي – الجزء الأول ص: ٢٩٧.

(٤) سيديو، تاريخ العرب العام، ص٧٧.

- تحقيق وعد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بفتح مكة قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).

لو كان القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم لما رفع قدر المسيح أو موسى إلى منزلة عالية، بل لكان أقل ما يجب هو الصمت عن معجزات موسى وعيسى وغيرهما كي لا يضيع في يد الخصم سلاحاً ماضياً[١].

يقول (إيتين دينيه): كما أورد ذلك عماد الدين خليل قائلاً: أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الأمي الذي لم ينل حظا في المعرفة؟ إن القرآن يصدر من محمد، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملي تلك الآيات البينات[٢].

المطلب الثاني: نشر الشبهات حول السنة النبوية والرد عليها

السنة هي المصدر التشريعي الثاني الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي بهذه الصفة لها حجيتها ويجب العمل بمقتضاها إذا ثبت روايتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق العدل الضابط إلى منتهاه بدون شذوذ ولا علة[٣] وأساس حجيتها تستند إلى ما جاء في القرآن الكريم من الأمر بطاعة الرسول، وجعل طاعته طاعة لله تعالى لقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ (المائدة: ٩٢)، وغيرها من الآيات العديدة التي تدل على حجية السنة واعتبارها مصدرا أساسيا من مصادر التشريع الإسلامي[٤].

أولا: شبهات المستشرقين حول السنة النبوية:

وباعتبار الحديث النبوي منهجا للمسلمين وللسنة عموما التي هي المصدر الرئيسي الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم كما رأينا، ونظرا لهذه الأهمية كانت السنة النبوية – بطبيعة الحال – مركزا الدراسات والأبحاث الاستشراقية التي قام بها المستشرق "جولدزيهر" الذي يزعم أنه يملك المعرفة بعلم الحديث والفقه الإسلامي، وقد تعمق في ذلك بالبحث والتنقيب وألف كتاب «الدراسات المحمدية وتطور الحديث» قادته المعرفة العميقة في الأحاديث والتجربة الطويلة مع السنة إلى التشكيك في الأحاديث على أنها مجرد أقوال منسوبة إلى الرسول[٥].

أعرض المستشرق "**جولدزيهر**" عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل من صدق الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري رحمه الله (٥٠-١٢٤هـ) وورعه وأمانته ودينه، وزعم أن الزهري لم يكن كذلك بل كان يصنع

(١) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٦٠.

(٢) ماذا قالو عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص٦٤.

(٣) أبو شُهبة: محمد بن محمد بن سويلم، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص٢٦، دار الفكر العربي.

(٤) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – الدكتور سالم الحاج – ج (١-٢)، ص: ٤٦٣.

(٥) الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية – د. محمد الشقاقي ج الأول هـ ٣٠٠-٣٠١.

الحديث بناء على طلب الخلفاء الأمويين، وهو الذي وضع حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... إلخ»[١] لعبد الملك بن مروان[٢].

كما ترتكز شكوك "**جولدزيهر**" في السند حول تأخر تدوين الحديث؛ فهو يرى أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث، وفي وضع أحاديث لخدمة أغراضهم؛ كما شك كذلك في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ويرمي من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة؛ وحفظهما في الصدور، وهو يرمي أيضا إلى وصم السنة كلها بالاختلاق. والوضع على السنة المدونين. وهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم، ويرى "شبر نجر" في كتابه الحديث عند العرب أن الشرع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني، وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة[٣].

ثانيا: الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية

أما استشهاد "**جولدزيهر**" بحديث الرسول الذي يدعو المسلمين- حسب زعمه- إلى تتبع سنن من كان قبلهم[٤] فهو قد شكك في هذا الحديث أولا: لأنه قال عنه: «أسند إلى الرسول» ولم يقل: «قال الرسول» ثم إنه أساء شرحه ثانيا، لأن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ليس دعوة المسلمين إلى التمسك بسنن أسلافهم الجاهلين، ولكنها دعوة إلى التمسك بسنة الرسول وآثار الصحابة الأجلاء، وعدم الاختلاف والتفرق مستقبلا، وعدم الخروج على الجماعة، حتى لا يتفرق رأي الجماعة. وتذهب قوة المسلمين أشتاتا.

كما يفهم من هذا الحديث أيضا دعوة المسلمين إلى التمسك بسنة النبي وسنة أصحابه حتى لا يتشبهوا باليهود والنصارى؛ والروم والفرس وغيرهم من الأقوام. ومن هنا كان فساد استدلال "جولدزيهر" بهذا الحديث في هذا السياق[٥].

والحقيقة التي لا مناص منها أن مصطلح الحديث والسنة يؤديان إلى معنى واحد ومفهوم واحد كما أشرنا في صدر هذا المبحث وهما أخيرا ينتهيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله المؤيدة لأعماله، وفي أعماله المؤيدة لأقواله، وبذلك فهما مترادفان[٦].

ويذكر "جولدزيهر" أن الإسلام أخذ الفضائل عن الأديان السابقة، وأن محمدا عليه السلام يعترف بالأنبياء

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١/ ٣٩٨ رقم ١١٣٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، (٢/ ١٠١٤ رقم ١٣٩٧).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق- الاستعمار) عبد الرحمن حسن حبنكة ص: ١٤٣.

(٣) الإسلام في وجه التغريب (مخططات التبشير والاستشراق) أنور الجندي ص: ٣٦٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (١٢٧٤/٣، رقم ٣٢٦٩).

(٥) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – دكتور ساسي سالم الحاج – ج (١-٢)، ص: ٤٧٩.

(٦) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – دكتور ساسي سالم الحاج – ج(١-٢)، ص: ٤٧٣.

السابقين أساتذة له. وهذه العبارة توهم ما لا يفهم المسلم؛ فالمسلم يفهم أن الفضائل ومكارم الأخلاق وأصول العقائد تتفق فيها الأديان؛ وجميعها من مصدر واحد، وهو الله العلي الحكيم ولم يأخذ دين عن دين. قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨٠).

المطلب الثالث: شبهة الطعن بشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم والرد عليها

أولا: شبهة الطعن بشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

كتب **المستشرق الفرنسي (كيون)** في كتابة (باثولوجيا الاسلام) إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض وشلل عام، وما قبر محمد إلا عمود كهرباء يبعث الجنون في رؤوس المسلمين[١].

ويقول (**سنوك هيرغرونية**) يجب أن نقرر أن قيمة محمد منحصرة في سائر مايميز عن جميع الهستيريين[٢].

يقول (**سيديو**) على شخصية الرسول صلى الله علية وسلم مدعياً ان هناك جانباً من حياته عليه الصلاة والسلام فيه شيء من الهنات والثغرات التي يحاول الرسول صلى الله عليه وسلم إخفاءه ها من الناس[٣].

ثانيا: الرد على شبهة الطعن بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

يلزم المستشرق بأن يدلل على ما يقول، لأن شخصية النبي صلى الله علية وسلم أنصع وأنقى سيرة عرفتها البشرية جمعاء، وهو القائل عنه ربه عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) وقالت عنه زوجته عائشة رضي الله عنها (كان خلقة القرآن)[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا)[٥].

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب الخلق العظيم، وهذا ما يؤكده المؤرخ (جلبرت) إذ يعترف في كتابه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليست لديه مصادر عربية ولكنة يقرر أنه لا خوف من الكلام من رجل تفوق شروره أي ظلم يمكن أن نظلمه به[٦].

---

(١) دراسات في السيرية النبوية، محمد سرور زين العابدين، ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٣

(٣) سيديو، تاريخ العرب العام، ص٦٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلة الليل رقم (٧٤٦)، ١/٥١٢-٥١٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، الأدب، رقم الحديث ٥٨٦٠، ٥/٢٢٩١.

(٦) أضواء على الاستشراق والمستشرقين، أحمد عبدالحميد غراب، ص٨.

ويضاف إلى حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم أن رسالته جاءت رحمة عامة للبشرية كلها، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

لقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية التالية:

١- عناية بعض المستشرقين بإحياء التراث الإسلامي، والاهتمام بالمخطوطات، والتأليف المعجمي الموسوعي في العلوم الإسلامية، والتحقيق في علم الحديث.

٢- وجود عدد من المستشرقين المنصفين الذين خدموا التراث الإسلامي.

٣- أن المستشرقين الذين تعاملوا بموضعيه ومنهجية صحيحة وصلوا الى نتائج مذهلة بل قادة بعضهم الى الإسلام.

٤- تعامل بعض المستشرقين مع الإسلام بتعصب واضح، ولهذا جاءت نتائج دراساتهم مغلوطة وتنم عن حقد وليس إنصاف أو تجرد.

٥- أن الاستشراق في الغالب كان عبارة عن سلاح من أسلحة المستعمر لضرب العالم الإسلامي وخاصة في عقيدته وشريعته ورموزه.

ثانيا: التوصيات:

ومما تقدم يوصي الباحث بالآتي:

١- يوصي الباحث بمزيد عناية الباحثين بالدراسات الاستشراقية والوقف على اهتمام المستشرقين وأهدافهم وغيرها لما يحتوي عليه من الفوائد العلمية الكثيرة بل والذب عن الشريعة الاسلامية من افتراءات المتعصبين منهم.

٢- يوصي الباحث الهيئات والمؤسسات العلمية المختلفة – وبخاصة الدعوية منها – بمزيد العناية بالاستشراق والمستشرقين وأساليبهم ووسائلهم المعاصرة والتنبه لمخاطرهم على الأمة.

٣- كما يوصي الباحث؛ الأكاديميين والمعلمين والمعلمات في المدارس والمعاهد والجامعات بتوجيه أنظار الشباب والشابات إلى دراسة الظاهرة الاستشراقية والتصدي لها وتفنيد شبههم والرد عليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلة وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

إبراهيم عبد المجيد اللبان المستشرقون والإسلام ص ١١ مجمع البحوث الإسلامية أبريل ١٩٧٠.

أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق– الاستعمار) عبد الرحمن حسن حبنكة ص: ١٤٣.

أحمد الاسكندراني وآخرون المفصل في الأدب العربي ٤٠٨/٢.

الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٢١٩.

الاستشراق تعريف مدارسة وآثاره، محمد فاروق النبهان، ص٣٧–٤١.

الاستشراق والدراسات الإسلامية، على النملة، ص٢٠٥–٢٣١.

الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص٣٢–٣٣

الإسلام – للمستشرق هنري ماسيه – ترجمة بهيج شعبان ص: ١١٤.

الإسلام في وجه التغريب (مخططات التبشير والاستشراق) أنور الجندي ص: ٣٦٦.

الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للشيخ أبو الحسن الندوي، ص١٣.

أضواء على الاستشراق والمستشرقين، أحمد عبدالحميد غراب، ص٨.

بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص٧.

تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، أحمد شاكر، ص١٢.

الجامع الصحيح لسنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مقدمة التحقيق ١/ ١٧ – ١٨

الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية ص١١ تأليف رودي بارت وترجمة د. مصطفى ماهر– القاهرة ١٩٦٧م.

دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي، ص١٩.

دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور زين العابدين، ص١٢٣.

دي سلان ماك غوين، في مقدمة الترجمة الفرنسية لمقدمة ابن خلدون، ص٤٤.

الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ص٢٤–٢٦.

رؤية إسلامية للاستشراق، احمد عبدالحميد غراب، ص٧–٨.

زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٧٤.

ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ج (١–٢)، ص٣١٩.

السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية، ص١٩.

السباعي، الاستشراق، ص٢٧.

سعيد، إدوارد، الاستشراق، ص٣٨.

سيديو، تاريخ العرب العام، ص٧٧.

السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٦٠.

الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة ج٣، ص٣١١.

عماد الدين خليل، ماذا قالو عن الإسلام، ص٦٤.

محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٥٣٢، دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

محمد الشقاقي، الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية. ج الأول، هـ ٣٠٠-٣٠١.

محمد عبد الغني، حسن عبد الله الفكري، ص٨٩، أعلام العرب.

المعجم الوسيط ج١، ص٤٨٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠.

ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص٢٧.

نجيب العقيقي، المستشرقون، ج ١، ص٩٨.

هيكل، حياة محمد، ص٤٠٤.